بالجملة ما تفترقه النصارى اربعة اليعقوبية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا
في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى
جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب
الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقدير الالهة ثلاثة وقيل انهم
يقولون في عيسى ناسوتية ولاهوتية فالناسوتية من قبل الام واللاهوتية من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا
كبيرا فقال ان الزجاج ... هذا النصارى ورجال من اليهود فقال الله لهم تتنصروا ... في دين النصارى
بذلك وسنذكر قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود
والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في امره
حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره
حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم اهل الغلو مجاوزة
الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته
ولا تقولوا على الله الا الحق يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد
في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق
في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله يقول انما المسيح
هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك وكلمته
هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة القاها الى مريم يعني اوصلها الى مريم وروح منه
يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله تعالى وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم
كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ فيه
جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافها الى نفسه لقوله منه لانه وجد بامر الله تعالى
قال بعض المفسرين ان الله خلق ارواح البشر وجعلها في صلب آدم عليه السلام وامسك عنده
روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها
فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ
جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل ادخل التنكير في قوله
وروح منه على سبيل التفخيم والتعظيم والمعنى وروح اي روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله
منه اضاف تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وان عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله
الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسله يعني صدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية
الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام
من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها وقوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا الالهة
ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر واحد
ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بالصفات الا انهم بدليل انهم يجوزون على تلك الذات
الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر ولهذا قال الله تعالى
ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم يعني انتهوا عن القول بالتثليث خيرا لكم من القول بالتثليث
ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى انما الله اله واحد ثم نزه نفسه
عن الولد فقال سبحانه ان يكون له ولد يعني انه لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى
الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث له ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى له ملك

السموات

الملكانية وصح

ولاهوتية

الله

هنا

٢٦١

السموات وما في الارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما وهما عبيده وملكه
واذا كانا عبيده فكيف يعقل مع هذا ان يكون له ولد او زوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان تنزيهه
عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات وما في الارض خلقه وملكه وكيف يكون بعض ملكه جزءا
منه لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام وكفى بالله وكيلا يعني
انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاج اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم
وقوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا
فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبد الله فنزلت
لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت
من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمعة اذا نحيتها باصبعك
من خدك والمعنى لن يتعظم ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى
انه ابن الله لما ظهر على يديه من خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات
اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بان عيسى من شرف قدره ورفعته لن يستنكف ان
يكون عبدا لله وقد استدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله
تعالى ترقى من عيسى الى الملائكة والترقي من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى
لم يجعل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم آلهة
كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة
يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعة من جميع خلقه
فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيجمعهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم
شيئا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم يعني يؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة
ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة واما الذين استنكفوا
واستكبروا يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم
من دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني يليهم من عذابه ولا نصيرا يعني ولا ناصرا
ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته في الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان
التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم واما الذين
استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج
عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما
يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم
فكانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا راوا اجور العاملين
العاملين له تعالى قوله عز وجل يا ايها الناس خطابا لاهل مكة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات
التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان
كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني
القرآن وانما سماه نورا لانه تتبين به الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور في الظلام ولانه سبب لوقوع

لن يستنكف ان يكون عبدا لله والملائكة المقربون

ويستكبر